المرأة فى فكر سلامة موسى

ابتسام اسحق سيحه

إشراف

أ.د/ محمد مجدى الجزيرى **أ.د/ محمد أحمد محي الدين**

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة **أستاذ الفلسفة الإسلامية**

جامعة طنطا **جامعة المنيا**

جامعة المنيا

تمهيد:

مما لا شك فيه أن هناك عدة موضوعات شغلت فكر وقلب سلامة موسى من أهمها وضع المرأة المصرية بالمقارنة مع غيرها من النساء الغربيات، وأولى ثوراته علي هذا الوضع هو كتابه الشهير "المرأة ليست لعبة الرجل" والصفحات الأولى لهذا الكتاب بدأها بتوجية نصيحة مباشرة ونداء عاجل لكل امرأة مصرية تحت عنوان "أيتها المرأة لا تكوني لعبة الرجل"، وأكد في هذا الكتاب أن المرأة مساوية تماماً للرجل في كل شئ بما في ذلك المشاعر والأحاسيس والرغبات والنزعات الفكرية والنفسية، وأن أي محاولة للتفريق بين الرجل والمرأة تؤول الي تدمير المرأة، وهذا ما هو حادث بالفعل، فلكى تنهض الشعوب لابد أن تنهض المرأة من الرقاد في جعبة الرجل الي الخير الامتناهي للفكر والحرية، فالإنسان لايناسبه علي الاطلاق أن يحبس أو يسجن، وخاصة المرأة فهي كيان لطيف، حساس، رقيق، مرهف القلب كالعصفور الصغير، لايصلح أن نسجنه أو نكسر أجنحته لكي لايطير، فإن فعلنا هذا مات هذا العصفور، وهذا ما يحدث للمرأة في هذا الكون العجيب هو الموت والدفن، فأنت أيها الرجل تدفن المرأه في قبر الحياة الأسرية بحجة أن مهمتها الأولي هى الأسرة، وهذا ليس عدلاً أو صدقاً، فمهمتها الأولي عند سلامة موسي هو العيش لذاتها ثم لمجتمعها ثم لزوجها وأسرتها كما الرجل أيضاً، فلا

فارق بينهما، وأما كل ما يردد من إشاعات بشأن المرأة عن جهلها وقلة حكمتها، فهذا نظراً لانقطاعها عن الحياة العامة والاجتماعية التي تعطي مهارات كثيرة تثمر وتنمو من خلال الأنشطة الاجتماعية، لذلك حفز سلامة موسي علي خروج المرأة وتعليمها وعملها، وقيادة نفسها، وإبادة كل الأفكار التي تحجبها وتقلل من كرامتها.

أخيراً حاول سلامة موسي تقديم طرح يوضح من خلاله دور المرأة في الماضي ووضعها في الحاضر ورؤيته المستقبلية لدورها الفعال إذا تغير حالها وكف المجتمع عن ازدرائها، وتحقيرها بجملة من العادات والتقاليد، هذه العادات التي تمثل طوق من الحديد الصلب حول عنقها، ويكاد أن يخنقها، وتلك التقاليد ماهي إلا أغلال تقيد وتوثق يديها وأقدامها وتجرها الي حيث لا تشاء.

لذك حاولنا طرق الباب والتعرف علي بعض آرائه عن المرأة في الماضي وكيف تتخلص مما انتابها لتبدأ حاضراً منيراً ينتج منه بالطبع مستقبلاً مشرقاً مضيئاً .

المرأة في الماضي والحاضر بين الكرامة والمذلة

ذكر سلامة موسي رأيه في حجب المرأة من خلال سرد الأصل التاريخي له فأكد علي أن الإنسان مر بمراحل عديدة :-

مرحلة الالتقاط

كان الإنسان يتغذي بالجذور والثمار البرية المنتشرة في الغابات، وكانت الأم هي العائل الوحيد لأولادها، وهي مصدر الحياة بالنسبة لهم، هي أساس الحياة فهي التي تحمل، وتنجب الصغار، وتؤمن العيش والغذاء، ولم يعرف في ذلك الوقت المعني الواضح لكلمة أسرة أى تتكون من أم وأب وأولاد كما هو متعارف علية اليوم، فدور الأب كان لا يتجاوز المتعة الجنسية. لذلك كانت للمرأة مكانتها في ذلك العصر إلي الحد الذي جمعت بين مهامها ومهام الرجل في آن واحد، وأصبحت مكانة الرجل مهمشة، أو منعدمة تقف عند حد المعاشرة .

فقد تحملت المرأة أعباء كثيرة لتربي أطفالها، وعلي الرغم من أن الحياة التي كانت تعيشها بدائية الإ أنها كانت ملكة في هذه الدنيا البسيطة الخالية من الترف أو اللهو. ففي ظل كل هذه الأحمال كانت حرة طليقة تستطيع أن تحلم وتحقق أحلامها، حتي إن كانت أحلامها هزلية في أعيننا اليوم وفي أعين الأجيال التي تلتها، إلا أن القدرة علي تحقيق الأحلام لا يملكها إلا القوي وبما أنها أستطاعت امتلاكها فلا نملك القول أمام هذه القدرة إلا أنها كانت في هذه المرحلة امرأه كما خلقها الله حرة، قوية. لذلك يمكننا أن نسمي هذه المرحلة مرحلة صون المرأة. (1)

مرحلة الصيد

تغير وضع المرأة تماماً في هذا العصر، بحيث أصبحت شؤم ونجاسة بعد أن كانت أساس الحياة في المرحلة الأولي، وظهر تملك الرجل وسيطرته علي المرأة إلي الحد الذي استطاع أن يجعل منها عبدة لشهواته وقيد من حريتها تماماً. وما ساعده علي ذلك هو وضع المرأة كمسؤلة عن الانجاب ورعاية أطفالها، فما كان يجب عليها تعريض صغارها لمخاطر الصيد والخروج بهم إلي أماكن الحيوانات المتوحشة للصيد، خاصة أن بعض من الرجال الأقوياء بدنياً كانوا لا يعودون من الصيد، والبعض الآخر كان يعود جريحاً، لذلك حرصت المرأة علي أولادها، فمكثت بهم في المنزل، تنتظر عودة الزوج، وحين عودته يجود عليها بما يقتنيه من صيد، وبهذا الصيد تؤمن عيشها هي وصغارها اضطرت إلي الخضوع لرغباته، والخنوع لأوامره ، فتجبر أكثر وأكثر واستوحشت لديه الرغبة في إخضاع المرأة تحت سلطانه، فاستجابت المرأة إلي ذلك من أجل صغارها، هذا الرجل الوحشي قابل العطاء بالجحود، والرقة بالقسوة، والخضوع بالسيطرة، والبساطة بالتعجرف، وظل حال المرأة في هذا العصر المشئوم في حالة من التدهور فلم يقف عند هذا الحد بل تدهور تدريجياً حتي أصبحت المرأة وقت الحيض شؤم علي الرجل ونجاسة، ولابد أن يعزل نفسه عنها ولا يري وجهها قبل خروجه إلي الصيد بعدت أيام، حيث ربط بين الشؤم ودم الحيض، وكذلك دم التطهير بعد الولادة، فعجبي من هذا الربط الذي حول المرأة من بركة لابد أن توضع الجنة تحت أقدامها إلي لعنة لا نري وجهها وتحجب، فقد تفنن هذا العصر في إزلال المرأة وإهدار كرامتها، وفي ظل هذه المرحلة تعاون الرجال مع بعضهم في عملية

الصيد، لما كان يلاقيه الفرد وحده من مخاطر، وفي ظل هذا التعاون نشأت التجمعات، والجماعات، ولأول مرة عرف أول معني لكلمة أسرة ، أي مكان مكون من ثلاثة عناصر الأب والأم والأطفال، كذلك لم يقتصر الأمر علي نجاسة المرأة المحيض أو وقت الولادة، لكن وصل وضع المرأة إلي أبعد حد من الازدراء، فقد اعتبر المرأة الأرملة شؤم ونذير شؤم لكل من يقابلها، فكما مات زوجها يمكن أن يموت زوج امرأة أخري تراها أو إلي أي رجل يراها، فكان علي المرأة في هذه الحالات الثلاثة اخفاء وجهها فعم الحجاب في تلك المرحلة وفي هذه الأماكن ، وهذا هو المبدأ الأول للحجاب في رأى سلامة موسي. (2)

مرحلة الزراعة

بعد أن تدهورت مكانة المرأة في عصر الصيد إلي الحد الذي نستطيع معه أن نؤكد أنها كانت لعبة الرجل كما يقول سلامة موسي، جاء عصر جديد يسمي عصر الزراعة ليسطر بأصابعه عهد جديد وكلمات جديدة في دفتر الحياة، ويؤكد من جديد علي رقة المرأة وكرامتها وعزتها. واستطاعت المرأة من خلاله إثبات مكانتها في التحمل والصبر، والعمل الجاد في كل المجالات المتاحة لها حينذاك، فقد احتاج الرجل لمعاونة زوجته في الزراعة، فمدت يد العون له وصارت له معينة، تتحمل الأعباء الملقاة علي كتفها بدون تذمر، ناظرةً إلي زوجها وهدفها الوحيد هو تخفيف الأثقال عن زوجها، لذلك رجع ميزان الحق والعدل، فقد صارت المرأة شريكةً للرجل وند اً له.

استطاعت المرأة في هذه المرحلة أن تلتقط أنفاسها وتنظر الي الفضاء الرحب، وتتمتع بالزروع، وبالعمل، وتستخدم عقلها في الزراعة حتي وإن كان في تدبير أمور بسيطة إلا أنها بهذا أخرجته من الجمود والخمول الذي كاد أن يجعله مجرد علبة فوق الرأس، ليس له أى مهمة غير المهمة الحيوانية، وتربية الأطفال، ورعاية المنزل، وإشباع الشهوات.

نستطيع القول أن الله أعطاها بهذه المرحلة فرصة ذهبية لإخراج نفسها من بوتقة البؤس وعدم القدرة الذي وضعها فيها الرجل لكي يستعبدها. فخرجت منطلقة بدون تردد تستغل الفرصة بكل طاقتها، تزرع وتحصد وتجمع المحصول .

هذه هي المرأة التي نعرفها، قوية التحمل، تملك قلب ذهبي لا يستطيع الرجل فهمه، أو النظر لثناياه، وهذا القلب ينشد دائماً مطلب فريد وواحد هو الحرية؛ فإن أخضعتها إلي السيطرة والتعنت والجبر، فقدت المرأة معانيها وأحاسيسها التي تستطيع بهما أن تصنع شعوب متقدمة راقية فعالة. فهي الأم، والزوجة، والحبيبة، والأخت، والصديقة، وهي فوق كل شئ نصف المجتمع. (3)

مرحلة الرق والعبودية

تعود المرأة إلي حالة من الإزلال والمذلة الحقيقية في مرحلة الرق والعبودية، من خلال هذه المرحلة استطاع الرجل إقتناء المرأة ببعض النقود، وبناءً عليه فهي من ممتلكاته "يفعل بها ما يشاء" كما يقول سلامة موسي ، فهو الحاكم لأمرها يبيعها أو يهديها لغيره.

يري سلامة موسي أن السبب الرئيسي في إنتشار الرق والعبودية هو الدين حيث يقول "لانجد كتاباً من كتب الدين إطلاقاً يقول بمنع الرق" ظلت مرحلة الرق والعبودية فترة من الزمان حتي حمل الأمريكيين علي إلغاء الرق وذلك لاختراع الالات التي حلت مكان العبيد ولما فيه من مهانة للمرأة في المجتماعات العربية، لأنه ساوي بين زوجته الحرة وجاريته، حيث أصبح الرجل يمتلك جوارى عديدة، وترضي المرأة بهذا الوضع المهين لكرامتها، حتي أن أسلوب الرجل مع جاريته يعود بالضرر علي زوجته نظراً لحالة التأثير والتأثر بينهما، فقد يعامل زوجته كما لو كانت جاريته التي قام بدفع ثمنها، وهنا قدم سلامة موسي ثلاثة عوامل لإحتقار المرأة هي

1- شؤم الدم أيام الصيد

2- شؤم الدم أيام الغزوات

3- سبي المرأة واسترقاقها

كما أثر الرق علي الرجل في التعامل مع زوجته أثر علي الزوجة أيضا ، فقد كانت الزوجة تتمثل بالجارية في المظهر والتزين وطريقة التعامل لكي ترضي رغبات زوجها، وتنول رضاه

وإلا يهجرها، هذا المنظر هو أسوأ ما يكون للمرأه، فهو المهانة الحقيقة، لا أدري ماذا أقول غير كلمة واحدة لقد أصبحت المرأة "دمية" في يد الرجل يلهو بها وقتما يشاء، ينظر ويلاطف ويداعب غيرها حيثما يشاء بدون رادع لأفعاله، وهو فى قمة الزهو مما هو فاعل 0000 الخ. [4]

أخيراً نستطيع أن نقول الرق جعل المرأة مثل عروسة الماريونيت يحركها من يمتلك زمامها ومقاليدها.

المرأة بين مصر وأوربا

وصلت المرأة إلي أقصي درجات الذل والإذلال في المجتمع المصري قياساً بغيرها في المجتمعات الأوربية ، فعزل المرأة عن الحياة الاجتماعية بكل ما في الكلمة من معني ما هو إلا قبو مظلم، وسجن إنفرادي، فقد تعد أصعب عقوبة ممكن أن توجه إلي متهم برئ لأن المجتمع هو المعلم الأول والمربي الفاضل، والحكمة الواقعية التي تخضع لها آنذاك بحب وإصغاء غير مسبوق في حياتنا أو إرتضاء غير معتاد لما في طبائعنا الشرقية خاصةً من عناد بعض الشئ. [5] ويقدم سلامة موسي برهاناً لما يقول من واقع الحياة عندما يكون الإنسان في مرحلة الجامعة، يصطدم بالمجتمع كلما تعامل معه، لقلة خبرته وشحوح حكمته، لكن الوضع يختلف عندما يبلغ نفس الشخص الستون من عمره فتجد تعامله مع المجتمع أصبح أكثر يسراً وسهولة، وحكمته تلفت الأنظار. وهنا يتسائل سلامة موسي ويجيب من أين يأتى بهذه الحكمة؟ من المجتمع الذي قام بتربيته تربية عملية من خلال مجريات الأمور والأحداث. ولا أحد يستطيع أن ينكر هذا فالمجتمع هو المدرسة الثالثة بعد الأسرة والمدرسة، حتي أن المجتمع يعلمنا الفضيلة أيضا فهو المدرسة الثالثة أيضا من حيث الفضيلة بعد الدين والأسرة وكما يقول سلامة موسي "نحن في المجتمع نحترف حرفة ما نرتزق بها، أى نأكل منها لقمة العيش. وهذه الحرفة تضطرنا إلي أن نحسن مهارةً معينةً. وإلي أن ننتج شيئاً يحتاج إليه المجتمع، إما سلعة وإما خدمة.

وهذا الإنتاج وحده وليس شيئاً آخر غيره هو الذي يكسبنا معاني الفضيلة والرذيلة، والفرق بين الرجل الصالح والرجل الفاسد، ومعاني المرءوة والشرف والإنسانية. نحن الرجال بالحرفة وبالاختلاط بالمجتمع ، نتعلم ونتربي .....واختلاطنا بالمجتمع يحملنا علي الاهتمام بالسياسة والعلم والأدب لأننا نجد أن حياتنا متصلة بكل هذه الأشياء لاتصالنا بالمجتمع." (6)

فحرمان المرأة من هذه المحطة المهمة في حياتها هو "قتل علي قيد الحياة" نعم لايمكننا إلا هذا القول . فهذه الحياة التي سيطر فيها الرجل علي المرأة وحجبها عن المجتمع، وبالتالي حرمانها عن أي أهداف إنسانية تتولد من كوننا كائنات اجتماعية، والمرأة مساوية للرجل في كل شئ فكما نلاحظ ضرورة الحكمة للرجل فهي كذلك للمرأة ولكي نصنع ذلك لا يمكننا حجبها بهذا الشكل المهين للإنسانية. (7)

الحياة الاجتماعية هي التي تساعد في اكتسابنا كم ليس هينً من الخبرات والمهارت والاختبارات، وهذه المدرسة لا يمكن إستبدالها بأى مدرسة أخري، فهي كما يقول أسلافنا مدرسة الحياة، وإن أردت إعدام شخص ما، إعزله واحجبه عن هذه المدرسة، فتكون بحجبك إياه نفذت فيه أقصي عقوبة يمكن أن توجه لإنسان. يبدو أن سلامة موسي كانت له رؤية مستقبلية سديدة لأننا اليوم نري بعض الأحكام علي المجرمون في بعض دول العالم ويكون الحكم "سجن مدي الحياة"، وهذه العقوبة لا يأخذها إلا الإنسان الذي ثبت عدم إنسانيته وخطورته البالغة علي المجتمع بهذا الحجب نساوى بين المرأة البريئة اللطيفة والإنسان بليغ الإجرام، وهذا ظلم بين لا يقبله أي عقل.

فالعادات السائدة في مجتمعاتنا تظلم المرأة وتقلل من شأنها وعلي سبيل المثال يذكر سلامة موسي قول الزمخشري* "أن الأرملة مبغوضة إذا مست شيئاً أتلفته" ولنا أن نتخيل معني هذه الكلمات القليلة في نفسية المرأة ونفوس كل من في المجتمع. (8) الإنسان المصرى ورث تاريخ قاسى هو السبب فى أزمة العقلية المصرية المعاصرة. (9) فعلينا تثقيف المجتمع بوضع آلية تغير الفكر السائد. (10)

أخيراً يمكن القول بأن المرأة في مجتماعتنا الشرقية بوجه عام والمجتمع المصري بوجه خاص تعامل علي الأصول السحرية التي ورثناها، فتقاليدهم عن المرأة تشبة أو يمكن أن نقول هي نفسها ما نحن فيه اليوم من حجب المرأة ونجاستها وقت الطمس ونجاسة الأرملة.(11)

وإن أمعنا النظر فيما يؤخرنا ويعرقل تقدمنا عن بقية العالم هو احتقارنا لنصفنا الثاني "أى المرأة" هذا الكائن الجميل، مرهف الحس، الذي من حقه العيش كما يريد، فهو العصفور الذي يغرد ونسمع صوته ويشدونا، فكيف لنا من الجسارة في قلوبنا أن نحبسه في قفص الموت، الحرية هي الحياة لكل المخلوقات الحية، فما بالك إن كان حساساً، وديعاً. لهذا نؤكد أن الحجب الذي حدث للمرأة في هذا الزمان، ومازال يحدث في كافة أشكاله وإن تبدل ثوبه إلا أنه يحدث باستمرار ولا يتوقف، هذا ظلم للمرأة دفع ثمنه المجتمع، ولا يزال يدفع الثمن .

إذا نظرنا إلى المرأة الغربية، هذه المرأة التي تقف علي الشط المقابل وهناك هوة عظيمة بيننا وبينها، فهى المرأة العامله، المجتهدة، المنتجة في الصناعة والتجارة والزراعة، وتلتحم بالحياة والعالم بكل حوادثه والماته وخبراته وثقافته، ودهاليزه، فهو يسر عليها، لا تجد صعوبة لأنها منه تربت وأخذت مبادئها وقيمها. (12) المرأة تنشد الحرية مثل الرجل، فالحرية ليست مطلباً بل هدفاً لكل إنسان، وقد آمن سلامة موسي بقول فولتير " الحرية هي صحة النفس" لهذا دافع عن حرية المرأة. (13)

حقوق المرأة

1– الحق في الانتخاب

أكد سلامة موسي علي ضرورة منح المرأة الحق في الانتخاب والترشح للبرلمان، ومبرره في ذلك أن هذا سيمنح المرأة إختلاط بالمجتمع التي حرمت منه، ويساعدها هذا الاختلاط علي تثقيفها، وتحديد أهدافها التي قتلت بفعل فاعل هو"الرجل" وسوف تزيد من يقظتها

الفكرية والاجتماعية والنفسية لأن اختلاطها بالعمل السياسي والاجتماعي يجعلها مضطرة إلي قراءة الصحف والكتب والدراسة. (14)

2- الحق في التعليم

عندما يتكلم سلامة موسي في هذه الجزئية ينسب الحوار فيها إلي رفاعه الطهطاوى وقاسم أمين فيسرد بعض الفقرات من كتاب رفاعه الطهطاوى "المرشد للبنات والبنين" وخصص بالذكر فصلاً بعينه تحت مسمي "في تشريك البنات مع الصبيان في التعلم والتعليم وكسب العرفان" ومن خلال هذا الفصل يؤكد ضرورة تعلم المرأة ويعدد أسباب ذلك وهي كالآتي:-

- حسن التعامل مع الأزواج ، فتعلم القراءة والكتابة والحساب يزدهن أدباً وعقلاً، ويجعلهن قادرات علي الحوار، وفهم الكلمات، وحسن الرأى ، وهذا يجعل الزوج يزداد عشقاً وحباً لزوجته واحتراماً لعقلها وحكمتها وفضائلها. لم تصبح المرأة مجرد خادمة في البيت ، الرجل لم يعد يقنع بمجرد الزوجة الخادمة، بل هو يحتاج شريكة للحياة، وصديقة، وزميلة، ويذكر سلامة موسي مثالاً علي تمرد المرأة الانجليزية علي العادات والتقاليد فيقول" كانت الشعائر الدينية في إنجلترا تقضي أن يقول القسيس للزوجة يجب أن تطيعي زوجك " ولكن هذة الجملة حذفت لان كثيراً من العرائس كن يجيبن علي هذا الأمر بقولهن "لا" فيثرن الضحك بين المدعوين للعرس. وتغيرت العلاقة بين الزوجين الإنجليزين، فلم يعد الزوج رئيساً لزوجته يطلب طاعتها وإنما هو زميل يتساوى بها ويتعاون معها."(15)

- التعليم يؤهلها إلي العمل الحسن، والعمل ينزع البطالة من يدها وقلبها وعقلها ويرفع معه كل المظاهر المتعلقة بالبطالة مثل أضرار اللسان.

- يساعد التعليم في تربية الأطفال، فيخرج لنا جيل متعلم، فاضل، يحبذ الأدب علي الجمال الظاهرى. ويقدم سلامة موسي لرأى فرويد وعلماء النفس حول مكانة المرأة عند أطفالها خاصة في السنين الأولي، وهنا نرى وصف فرويد للأطفال وكأن هذه المرحلة في حياتهم، هي مرحلة العذاب، حيث يؤكد تعلق الأطفال بالأم وحبها حباً جنسياً غامضاً،

لذلك يمكن أن يشعر بكراهية وخوف من أبيه ولا يستطيع التعبير عن هذا الكره، فتحيا وتنمو معه هذه المشاعر وقد تتخذ أشكالاً أخري تنتهي إلي الدمار الاخلاقي، والعديد من الأمراض النفسية في بعض الأحيان.

يؤكد سلامة موسي ان فرويد يري ان الطفل هو كتلة من الانانية يريد الاستحواذ علي حضن وحب امه، ولكن هنا يعترض سلامة موسي مؤكداً أن الطفل يتمتع بحب لأخوته أيضا أخذه من الأم، لذلك فالأم هي التي تدفق عليه الحنان، فكلما كانت الأم حنونه، قلبها كبير، عاقله، حكيمه، مثقفه، فأن الأسرة بما تشمله من أطفال تملك نفس الشئ، أو علي الأقل بعضاً منه، الأم كما يقول سلامة موسي هي "الأصل في الحب البشري العام، وهي الأصل في الإحساس الإنساني. (16) الأم هي الأصل للمجتمعات البشرية .... نحن نولد حيوانات كما يقول فرويد ، نحس الأنانية والغيرة وننزع الي الخطف والاستيلاء والنهب. ولكن الأم تعلمنا بحبها الإيثاري لنا، حباً إيثارياً آخر لها ولجميع من تعرف أو تختلط بهم من الناس". (17)

كل الأخلاق التي يمكن أن تجدها في المجتمع ناتجه من المدرسة الأولى هي الأم، لذلك علينا تثقيف مدرستنا لتكون قوية منيعة.

بالرغم من الإشادة برفاعة الطهطاوى إلا أنه يري أن رفاعه الطهطاوى قصر دور المرأة في التعليم وأهميته علي حسن التعامل مع الأزواج وتربية الأطفال أما فكرة العمل فقد أهملها قليلاً، ويرجع سلامة موسي فشل مبادرة رفاعه الطهطاوى لتعليم المرأة لسببين الأول هو الاستعمار الذي لا يريد نهوض للمرأة. ثانياً لم يدع الي السفور.

لكن كما يؤكد سلامة موسي كان قاسم أمين أكثر منه جرأة حينما أكد أن المرأة المصرية لابد أن تخرج إلي المجتمع تختلط به وتدرس شئونه. (18)

3– الحق في العمل

يذكر سلامة موسي مثالاً غايةً في الأهمية يؤكد به علي الوضع المزرى للأسرة المصرية في غياب عمل المرأة ، وينوه من خلاله علي مقدار الفارق الشاسع بين المرأة المصرية والمرأة

الأوروبية، فيفترض وجود أسرة مكونه من أب وأم وثلاث فتيات، يعملوا جميعا عند بلوغهم الثامنة عشر عام. أو يعمل الأب والفتيات الثلاثة وتمكث الأم باختيارها لخدمتهم، فإن تعب الأب أو أصابه مكروة لا تحتاج الأسرة لمن يعولها، فقد تعول الزوجة زوجها وكذلك الفتيات الثلاثة، أما إذا وجد نفس الحال في مصر فإننا نجد الوضع مختلف فإن كانت نفس الأسرة موجودة والذي يعولها أو يعمل هو الأب، وتمكث الأم والفتيات الثلاثة في البيت محجوبة عن الجميع وإن تعب الأب أو أصيب بمكروه، تفتقر هذه الأسرة وتحتاج إلي معيل أخر. وهذا يشكل عبئ علي المجتمع وينشأ منه الفقر في بعض الأسر المصرية.[19]

وينشأ منه الإذلال أيضا ، لأنه كما يقول سلامة موسي "أعظم ما يكسبنا الكرامة الذاتية بحيث نصمد للحوادث ونتغلب علي الصعوبات، هو إحساسنا بأننا ننتج وأن لنا قدرة علي أن ننفع ونخدم ، ولنا براعة أو مهارة في عمل معين، ولنا نشاط نؤديه ونسر به. وقد لا نكسب شيئاً من هذا الإنتاج، ولكن إحساسنا به يجعلنا نحس بكرامتنا الذاتية". ولكن يؤكد سلامة موسي أن الأمر ينقلب تماماً في حالة فقد هذة القدرة، أقصد القدرة علي الانتاج وعلي العمل وكسب المال، فيصيب الإنسان حالة من الذهول يقارب الجنون أو ينخرط في سلوك عدواني أو إجرامي ويفقد احترامه لنفسه.

هذا حال المرأة الثرية والمتيسرة الحال، تمنع من العمل ، وتمكث في المنزل، فتفقد قيمتها الذاتية التي لا تتأتي إلا بالعمل الجاد.

حث سلامة موسي علي فائدة الاختلاط أثناء العمل، هذا الاختلاط يساعد علي نمو عقل المرأة وتزايد الذكاء عندها.

أيضاً يري سلامة موسي أن إحساس الانتاج هو إحساس الصحة النفسية والخير الاجتماعي والصلاح فلا نبخل علي نسائنا بهذا الاحساس الذي يساعد في رقي المرأة ومنها رقي المجتمع بأكمله. [20]

يطمح سلامة موسي في المزيد، فلم يكتفي سلامة موسي بل أراد توسيع الدعوة إلي الحد الذي تصل إلي وضع قيود تحول دون الإساءة للمرأة نتيجة الإسراف في الزواج أو الطلاق .

كما يقول سلامة موسي "وهذا الفهم الجديد أملته علينا حالة اجتماعية جديدة هي يقظة نحو عشرين ألف امرأة قد احترفن التعليم والطب والتجارة والصناعة والصحافة، ونحو مائة الف عاملة مصرية يعملن ويرتزقن في المصانع. وهؤلاء جميعاً يؤلفن طبقة جديدة من النساء لم يعرفها تاريخنا الماضي، وهن اللائي أملين علينا هذة الإصلاحات الجديدة للعائلة.[21]

الحق في العمل السياسي

فقد رأى سلامة موسي ضرورة اختيار عضواً من النساء في لجنة الدستور أى نصف أعضائها وذلك عندما وجه إليه سؤال هام من قبل مجلة "الجيل الجديد" حول رأيه في لجنة الدستور. ويؤكد سلامة موسي أنه علي يقين ومعرفة بما يلج في الصدور وكم الضحكات التي صاحبت طلبه هذا، ولكن هذا لن يثنيه عن قول الحق والحقيقة، ولكونه منطق عقلي لايستطيع أحد إنكاره، فالمرأة نصف عدد سكان المجتمع.

من حق المرأة المشاركة في العمل السياسي بكافة أشكاله مثل حق الانتخاب والترشح للنيابة.

يرد موسي علي كل المعترضين علي إقحام المرأة في المجال السياسي أخذين العادات في المجتمع المصري ذريعة يتذرعون بها لحرمان المرأة من حقوقها السياسية، فيؤكد لهم أننا بشر قبل أن نكون مصريين أو غير ذلك، ومن حقنا كبشر أن نحيا، ونفكر أو نكون أحراراً، فالمرأة إنسان لها كل الحقوق الإنسانية، فإن كانت هناك بعض التقاليد التي تحرمها هذا الحق، فلابد أن نغيرها، لا أن نخضع نحن لهذه التقاليد ونهدر المرأة حقها. [22]

حق تقلد المناصب

كثير من الاشخاص الذين يهدرون حق المرأة يتعللون بأنها العادات والتقاليد الشرقية بوجه عام والمصرية بصفة خاصة تمنع عمل المرأة، وكذلك اختلاطها في الحياة الاجتماعية أو السياسية، وبالتتابع عدم استحقاقها لتولي أى منصب اجتماعي أو سياسي في ذلك الوقت. وهنا نجد رد سلامة موسي قوي وحاسم إذا يعطي مثال امرأة شرقية كانت تحمل من العادات والتقاليد ما هو أسوأ من عاداتنا المصرية، فقد كانت السيدة الثرية تحجب في منزلها إلي الدرجة التي يوضع في قدمها حذاء حديد منذ الطفولة حتي لا تنمو فتستطيع المشي عليها. فلا حاجة لها بمشي فهي تجد من يخدمها ويرفعها من مكان الي أخر، كل ما عليها خدمة زوجها في سرير الزوجية، كما يوضح سلامة موسي بإننا لا نرى مهانة للمرأة أكثر من هذا، ولكن استوقفنا لحظة لمعرفة حال هذة المرأة الآن فقد أصبحت قاضية ورئيسة محكمة، المرأة التي يقصدها سلامة موسي بالحديث هي المرأة الصينية (فيقول) أن هناك 144 سيدة صينية تعمل في منصب رئيسات للمحاكم. [23]ومن هنا يري سلامة موسي (بضرورة تغيير) أن العادات والتقاليد إذا كانت حجر عثرة لتقدم المجتمع، وحائلاً بينه وبين الرقي علينا تغيرها أو الإستغناء عنها، فلا تقيدنا العادات، بل تقيدنا المبادئ السامية التي تفوق العادات في قوة وطأتها علي النفس الإنسانية، نحن نحتاج إلي إعادة صياغة للتقاليد، وإعادة برمجة لعقولنا كى نتقبل الجيد، ونعزل الردئ وليس العكس كما يحدث. فكما تخلص العالم كله من المبادئ الخاطئة والعادات الظالمة علينا نحن أيضا فعل ذلك.

يصنع سلامة موسي مقارنة بين المرأة المصرية والمرأة الصينية فيذكر لنا موقف حدث له حيث أرسلت فتاة خطاباً ينتهره الي درجة السباب لأنه أغفل التعليق علي خبر، كان الخبر بخصوص رجل من الصعيد رفع قضية يطالب بحقه في ميراثه من أمه التي تملك 128 فداناً فسأله القاضي ما اسم أمك، فرفض ذكر الاسم، نظراً لأن العادات والتقاليد في الصعيد تمنع ذكر اسم الأم أو الأخت أو أى امرأة ويسترسل سلامة موسي ويقول "أليس الاسم بعض الشخصية؟ وهل يمكن للصعايدة أن يعترفوا بأن للمرأة شخصية؟ .....أين أنتى يا مصر من الصين؟ هناك تعين المرأة رئيسة للمحكمة، وهنا يحرم ذكر أسمها في

المحكمة؟ لماذا ترى الصين شخصية المرأة ونحن هنا نلغيها أو علي الأقل يحاول بعضنا إلغاءها؟[24]

ربط سلامة موسي بين النهوض بالمرأة والنهوض بالأمة والمجتمع، لأن المرأة نصف المجتمع، وأيضاً نجد النساء في كل دول العالم يتولون منصب سفير أو وزير، وهذا يتضح أثناء إنعقاد المؤتمرات فتجد المندوبات عن الدول في المؤتمر يناقشون ويدرسون الأمر ويعرضوا أرائهم بكل جراة، ومنهم من رأيه يثني عليه من جميع الحاضرين. [25]

يري سلامة موسي إنه من العيب الشديد أن نعامل المرأة كما كانت النظم الاقطاعية تعاملها، بإن تجعلها بعيدة عن المجتمع وعن الحكم والمناصب. يري سلامة موسي أن كافة الدول تحررت من هذا التعامل المنفر للمرأة ، فلماذا لا نتحرر نحن من هذا. [26]

يتساءل سلامة موسي ما العيب الذي يلحق بنا أن خاضت المرأة غمار الوضع السياسي، لماذا لا يثق الرجل المصري بالمرأة ، فالمرأة لها المقدرة علي العمل الاجتماعي والسياسي والوطني ، المرأة هي كتلة الأحاسيس التي إذا وجهت الي شئ زاد غناه، فإن وجهه إلي العمل الوطني عاد ذلك بالنفع من حيث أنه كسب لنفسه عقلاً زاخراً وقلباً من ذهب في الإخلاص لما يحب. [27]

رأيه في الحجاب

يري أنه القوة الناعمة التي تعمل علي حجب المرأة وتأخر المجتمع، فحجب المرأة وانفصالها عن الرجل في مصر يقف عائق ضد تقدمنا ورقينا حتي أنه ذكر مثال "مؤتمر باندونج" هذا المؤتمر صنع خصيصاً من أجل التحدث عن إلغاء اساليب الاستعمار في إحتقار المرأة وكل مندوبي الدول والوزراء اصطحبوا معهم نساء إلى هذا المؤتمر ما عدا مصر، وهذا لأن مصر حجبت نفسها بحجب المرأة. [28]

الخاتمة

نادى سلامة موسي بالتحرير المطلق للمرأة من أى قيود اجتماعية ، بحيث تصبح مشاركة للرجل في كل مجالات الحياة، سواء في العمل الاجتماعي أو في البيت أو في العمل بغرض سحب الرزق أو في العمل السياسي والوطني حتي في تقلد المناصب رأى أنه ليس هناك ديمقراطية حقيقة بين الرجل والمرأة ، المجتمع يتألف من الرجل والمرأة معاً ليس من الرجل فقط كعضو رئيسي والمرأة عضو ثانوي.

نحن نتسأل مع سلامة موسي لماذا يصنع الرجل هذا ؟ لماذا يريد دائما إخضاع المرأة لسلطانه؟ لماذا يريد تأكيد أن المرأة لا تستطيع التفكير أو ممارسة الأعمال الفكرية وكذلك لاتقدر علي الأعمال البدنية والعضلية؟ هل هناك ما يجب أن يعالج في نفسية الرجل لكي يتقبل المرأة ؟ هل يخف الرجل الي هذا الحد من المرأة؟ وبالتالي يخف علي مكانته أن سبقته المرأة في هذة المجالات؟ اما الموروث هو السبب فكثير من الرجال الشرقيين بصفة عامة والمصريين بصفة خاصة يقدسون الموروث إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

لاأنكر أن الموروثات الشعبية من عادات وأفكار وتقاليد تتغلغل في أعماق كل منا وتؤثر فيه سواء بالإيجاب أو بالسلب ولكني لا أتوقع أن هذه الموروثات يمكن أن تقودنا إلي مصير مظلم مهما كان تأثيرها. لذلك أرجح أن الرجل الذي يجعل الموروث مرجعه الأساسي هو مريض نفسي أيضا يحتاج إلي علاج نفسي وهذا ليس عيباً، ولكن العيب والخطأ الحقيقي أن يترك نفسه للموروث والعادات والتقاليد تسوقه الي الرجعية والتأخر والإنهزامية

كان سلامة موسي أكثر جرأة من سابقية فقد رفض الحجاب مطلقاً وأوضح مساوئه.فقد أكد على أنه سبب مباشر من أسباب تأخر المجتمع.

اسماء المصادر والمراجع

1- [29]أحمد عبد الحليم عطية، سلامة موسى والفلسفة، أوراق فلسفية- مصر، ع 59، 2018م.

2- أنور عبد الملك، سلامة موسى رائد التفكير العلمى، أدب ونقد- مصر، عدد 158، أكتوبر، 1998م.

http://search.mandumah.com/record/277914
3- سلامة موسى، الأدب والحياة، دار النشر المصرية، القاهرة، 1956م.
4- سلامة موسى، افتحوا لها الباب، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 2012م.
5- سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 2012م.
6- سلامة موسى، كيف نربى أنفسنا، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 1958م.
7- سلامة موسى، مشاعل الطريق للشباب، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة،2012م.
8- سلامة موسى، مقالات ممنوعة، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 2012م.
9- صاحب كر، إطلالة علي سلامة موسي، الاقلام- العراق، س 2 ع6، 1966م.
10-فاطمة الحصى، الثورة لدى سلامة موسى، أوراق فلسفية- مصر، ع 59، 2018م.
11-كمال عبد اللطيف، سلامة موسي وإشكالية النهضة، بيروت، دار الفارابى والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولي، 1982م.
منى يسري، سلامة موسى والمرأة المصرية، الجزء الأول، مجلة الحوار المتمدن، 2014م، www.alahewar.org .

هوامش البحث

[1](1) سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 2012م، ص 17، 18

(2)المرجع نفسه ص 19، 20

(3) سلامة موسى، الأدب والحياة، دار النشر المصرية، القاهرة، 1956م، ص 99- 101

(4) سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل ، ص 23، 24

(5) منى يسري، سلامة موسى والمرأة المصرية، الجزء الأول، مجلة الحوار المتمدن، 2014م، www.aahewar.org

(6) سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، ص 33- 35

(7) المرجع نفسه، ص 39- 42

(*) في كتابه "غريب الحديث" في صفحة 273

(8)المرجع السابق، ص 39- 42

(9)أنور عبد الملك، سلامة موسى رائد التفكير العلمى، أدب ونقد- مصر، عدد 158، أكتوبر، 1998م، ص 13 http://search.mandumah.com/record/277914

(10) صاحب كر، إطلالة علي سلامة موسي، الاقلام- العراق، س 2 ع6، 1966م،ص 75

(11) كمال عبد اللطيف، سلامة موسي وإشكالية النهضة، بيروت، دار الفارابى والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولي، 1982م، ص 27

(12) سلامة موسى، الأدب والحياة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص 31، 32

(13) فاطمة الحصى، الثورة لدى سلامة موسى، أوراق فلسفية- مصر، ع 59، 2018م، ص 250

(14) سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، ص 57- 60

(15) سلامة موسى، افتحوا لها الباب، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 2012م، ص 21-25

(16) المرجع نفسه، ص 21-25

(17) سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، ص 53- 56

(18) المرجع نفسه، ص 53- 56

(19) المرجع السابق، ص 41

(20) سلامة موسى، كيف نربى أنفسنا، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 1958م، ص 19- 25

(21) سلامة موسى، مقالات ممنوعة، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، 2012م، ص 107- 111

(22) سلامة موسى، كيف نربى أنفسنا، ص 19- 25

(23)سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، ص 53- 56

(24) المرجع نفسه، ص 53- 56

(25) أحمد عبد الحليم عطية، سلامة موسى والفلسفة، أوراق فلسفية- مصر، ع 59، 2018م، ص 182

(26)سلامة موسى، مشاعل الطريق للشباب، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة،2012م، ص 123- 125

(27) سلامة موسى، المرأة ليست لعبة الرجل، ص 53- 56

(28) المرجع نفسه، ص 56